

التبيان في تفسير القرآن

(483) تعرفه الملائكة. وحكي عن البكرية في تأويل هذه الآية ان معنى الآية لونها طبعنا على قلوبهم، وانكر ابو علي ذلك، وقال: هذا غلط لان معنى قوله: اني لو شئت اصبتهم بعقاب ذنوبهم وأهلكتهم كما أهلك الامم قبلهم بعقوبة ذنوبهم، فلا يجوز ان يعني اني لو شئت أهلكتهم فلا يتهياً لهم ان يسمعو بعد اهلاكم، لان من المعلوم للعقلاء أجمع ان الموتى لا يسمعون، ولا يقبلون الايمان. وقوله " ونطبع على قلوبهم " انما هو استئناف وخبر منه أنه يفعل ذلك، ولم يرد أني لو شئت لطبعت لانه بين في هذه الآية وغيرها انه مطبع على قلوب الكافرين، كقوله " بل طبع الله عليها " يعني على القلوب " بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا " (1) أي الا قليلا منهم، لان أهل الطبع قد يؤمن بعضهم، وهو خلاف قول الحسن، فان تأويله عنده الا ايماننا قليلا. وقال الزجاج: هو على الاستئناف، لانه لو كان محمولا على اصبنا لكان وجه الكلام ولطبعنا، وهو قول الفراء. وقوله " فهم لا يسمعون " أي لا يقبلون الايمان مع هدايتنا لهم وتخويفنا اياهم. وفائدة الآية الانكار على الجهال تركهم الاعتبار بمن مضى من الامم قبلهم، وانه قد طبع على قلوب من لا يفلح منهم عيبا، وذما لهم. وقال البلخي: شبه الله تعالى الكفر بالصدى الذي يركب المرأة والسيف لانه يذهب عن القلوب بحلاوة الايمان ونور الاسلام، كما يذهب الصدى بنور السيف، وصفاء المرأة، ولما صاروا عند امر الله لهم بالايمان إلى الكفر جاز ان يضيف الطبع إلى نفسه، كما قال " زادتهم رجسا إلى رجسهم " (2) وان كانت السورة لم تزدهم ذلك. _____ (1) سورة 4 النساء آية 154 (2) سورة 9 التوبة 126